

## الكتابة والنقد بين الهواية والاحتراف

داريوس داري-سوريا

أن تكون كاتباً هاوياً أو - على الأقل غير محترف فهذا حق من حقوقك لا ينازعك فيه أو عليه أحد لأنك إنما تكتب بدافع من الرغبة في أعماقك لتسطر على الورق ما يعينك من أفكار شعراً أو.. نثراً.. أو دراسة، مقالة، قصة أو رواية وأنت في جميع الأحوال مسؤول عما كتبت ومن حق القراء عليك أن يبدوا آرائهم فيه رضى أو سواه وعليك أن تتقبل هذه الآراء بصدر رحب لأنها إنما تمثل ردود الفعل الطبيعية لمن كتبت لهم والكاتب غير المحترف يختلف عن اتخاذ الكتابة مهنة أساسية لأن الكتابة كمهنة تتميز بالصنعة أو الحرفة والقواعد التي يحاسب الكاتب المحترف عليها أدق حساب ولا يجوز له أن يخرج عن حدودها الأضمن إطار الأسلوب الخاص الذي اتخذته لنفسه. الكتابة مسؤولية وأمانة والكاتب أي كاتب عندما يريد أن يؤلف أو يخرج على الناس بمقال أو بحث إذ يجب كما يقول (البابلي) أن لا يخرج المؤلف عن أحد الأقسام السبعة التالية.

- ١- أما أن يؤلف من شيء لم يسبق إليه ليختره
  - ٢- أو شيء ناقص يتممه
  - ٣- أو شيء مستغلق يشرحه
  - ٤- أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه
  - ٥- أو شيء يرتبه
  - ٦- أو شيء خطأ فيه مصنفه يبينه
  - ٧- أو شيء مفرق يجمعه
- ولهذا فالناقد بمعناه الفني الدقيق لا يجوز فيه الهواية ولا تجاز

البعث إلى جدل صاحب أنه دائماً ينتهي إلى جدل عقيم ومعارك شخصية لا تسمو بالناقد وينطبق هذا على أولئك الذين يتصدون لما يوجه إليهم من النقد بانفعال يفقدون القدرة على الرد الموضوعي فيخرجون عن دائرة النقاش الموضوعي والحوار البناء إلى الجدل العقيم وربما دون ذلك فيؤدون إلى سقوط أعمالهم الأصلية وقد تحبط دون شعور منهم فالقارئ ناقد ومتابع للاديب الذي يعيش أدبه ويكره أن يكتشف أن سماع المعدي خير من رؤيته.

ولست أعيب على أي ناقد أن يبدي رأياً شخصياً بصورة مطلقة ولكن الذي أعيبه هو ذلك الرأي الفردي الذي لا يعتمد على تحليل أو يستند على دليل ويفتقر إلى التعليل المنطقي الموضوعي ويتجه إلى تعميم وليس هناك في رأيي أخطر من ضحالة ثقافية الناقد وفساد ذوقه وعدم موضوعيته في مثل هذا الإطار.

من الشروط التي يتحتم أن تحقق في النقد الذوق لأنه الأساس في كل حكم وحسام في كل نقد وأداة الذوق هي عواطفنا أما أداة الفهم فهي عقولنا وأفكارنا فنحن نفهم النص بعقولنا ونتذوقه بشعورنا فكيف يكون الأمر عندنا يخلو من العقل والعاطفة ويتجه إلى جدل وضجيج لا ذوق فيه ولا حس ولا عاطفة ناهيك عن رأي أو فكر تحترم فهو إذن ليس نقداً لأن النقد قيمة فنية كما اتفقنا وهو عالية لا يحصل عليها ولا يصل الا قلائل وهو محصلة رصيد ضخم من العلم والخبرة والمعرفة والمطالعة والتخصص وهو كذلك قيمة أخلاقية تضع الناقد كالقاضي أمام ضميره فلا يسمع لاهوائه الشخصية ولا لمزاجه الخاص ولا لعواطفه العادية أن تأخذه في الاتجاه أو ذاك، بل يتخذ العمل الذي ينتقده ككل ثم يتولى تشريحه ولاتجريحه... بطريقة فنية فيذكر السلبيات ويعلل وجهة نظره تجاهها ويذكر الإيجابيات ويعرض رأيه فيها ثم - هو المهم يقترح منهاجاً يبين فيه بوضوح انه رأيه الخاص المجرد من كل هوى وبذلك يستفيد صاحب العمل الفني من هذا النقد في إنتاجه المقبل كما يستفيد القارئ بتكوين ملكة النقد السليم لديه، وأن الكتابة مسؤولية تختلف في مضمونها عن مسؤولية النقد فالكاتب محترفاً أو هاوياً مسؤول أمام قرائه ولكن الناقد- المتخصص مسؤول أمام ضميره.

فأما أن تكون ناقدًا حقيقياً أو لا تكون ولا يجوز لك أن تتصدي للنقد بعد أن تصدر نقدك بقول تعترف فيه، بأنك ناقدها وليس محترفاً لأن معنى ذلك أنك لست ناقدًا متخصصاً وفي النقد يعتبر التخصص شرطاً أساسياً لا يمكن التغاضي عنه ولا التساهل فيه ومجرد اعتراف الناقد بأنه ليس متخصصاً يفرغ نقده مهما كان من مضمونه الفكري ويهبط به إلى مستوى القاريء العادي الذي يبدي آراءه بدافع أحاسيسه الخاصة والمزاجية الشخصية فتكون تلك الآراء مهما نضجت مختلفة عن (النقد) فهي - وكاتبها- لا يصنفان في عداد العطاء النقدي.

ولست ادري لم يعتقد بعض الذين يتصدون للنقد في صحفنا يجب أن يكون قديماً وتجريباً وتجاهلاً للإيجابيات وبحثاً عن النقائص والمعائب والهفوات ومطالبة أصحاب الإنتاج الذي ينقدونه أن يسير على هوائهم الخاص ومزاجهم الذاتي وألا فان عمله يعتبر - في نظرهم- فاشلاً وناقصاً و...و.

وحتى غداً النقد عندنا أمراً يغلب عليه التعقيم والرأي الشخصي مع افتقار إلى الموضوعية وهذا أمر مؤسف لأننا في أمس الحاجة إلى النقد العلمي والموضوعي ولكن الناقد عندما يعمم ويجنح إلى الرأي الشخصي وعدم الموضوعية فإنه يخرج النقد عن إطار الفائدة المرجوة منه وكلمة اتجه الناقد إلى المعلومات وأسلوب التعميم إدراكاً انه يراوح في مكانه ولا فائدة ترجى من عمله فهو مفلس ليس لديه ما يقوله كذلك يؤلني جداً أن يتحول النقد عند